زانكۆی سەلاحەدین - هەولێر
Salahaddin University-Erbil

الزُهد في الَعصر العبّاسي

(رابعة العدوية أنموذجاً)

مشروع تخرج

مقدم الى قسم (اللغة العربية) كجزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس

في (اللغة العربية وآدابها)

إعداد:

إبراهيم رسول أحمد

بإشراف:

م.م خيرية سعدي

٢٠٢٢-٢٠٢٣

المحتويات

إهداء ..... أ
شكرو عرفان ..... ب
المقدمة ١
التمهيد ٣
مفهوم الزهد: ٣
الفصل الأول: أدب الزهد في العصر العباسي ٥
المبحث الأول: عوامل ازدهار الزهد ٥
المبحث الثاني: أهم شعراء الزهد ٩
الفصل الثاني: الزهد في شعر رابعة العدوية ١٣
المبحث الأول: حياتها ونشأتها قبل وبعد اليقظة الروحية ١٣
المبحث الثاني: نظرية الحب الإلهي في شعرها ١٦
الخاتمة ١٩
قائمة المصادر والمراجع ٢٠

إهداء

إلى أمي الغالية وابي العزيز

إلى أساتذتي في كلية التربية

الى جميع زملائي في الدراسة والحياة ...

شكرو عرفان

أشكر الاستاذة (م.م خيرية سعدي) على قبولها الاشراف على هذا البحث فلولا ملاحظاتها القيمة لما خرج هذا البحث بهذا الشكل.

كما أشكر أساتذتي في قسم اللغة العربية بجامعة صلاح الدين/ شقلاوة.

نسأل الله أن يمد في عمرهم لخدمة العلم وجزاهم الله خيراً.

المقدمة

ظهرت في العصر العباسي تيارات فكرية كثيرة ونزعات عقلية لم تشهده العصور السابقة له، وقد رسخت في جذور الفكر العربي عامة والأدبي خاصة، وامتازت بالجديد والتنوع، وكانت تحول فكري على الموجود في الساحة الفكرية آنذاك، فهي كانت نتاج لظروف سياسية، واجتماعية، وثقافية ودينية، فظهرت أغراض تناقض بعضها البعض، كالمجون والزندقة والزهد، مما أدى بالشعراء الدفاع عن دينهم، والعصر العباسي هو العصر الذهبي للحضارة الإسلامية، إذ يمثل فترة النضوج في مختلف المجالات لا سيما الأدب والشعر، ووجهات نظرهم الفكرية ومنها غرض الزهد، لذلك ارتأيت في هذه الدراسة البحث في سمات المجتمع العباسي والأغراض الشعرية التي ظهرت في تلك الحقبة، فجاءت دراستي بعنوان:

شعرالزهد في العصر العباسي (رابعة العدوية أنموذجا) .

أسئلة البحث: إن موضوع الزهد يثير الكثير من التساؤلات مما دفعني إلى اختيار الموضوع، وقد جاءت هذه الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية:

١. مالزهد؟

٢. ماعوامل إزدهاره في العصر العباسي؟

٣. ما حقيقة الزهد عند رابعة العدوية؟

٤. كيف كانت نظرية الحب الإلهي في شعرها ؟

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج التحليلي لكونه يتم بيان موضوع الدراسة بشكل مفصل، ومن ثم القيام بتحليله.

أما بالنسبة لفصول البحث ومباحثه فقد القيت الضوء على مسألة الزهد، وتتطلب طبيعة البحث القيام بتقسيمه على مقدمة وفصلين وخاتمة، كما قسمت كل فصلين إلى مبحثين مستقلين، وكان وذلك كما يلي:

١. في الفصل الأول تحدثت عن أدب الزهد في العصر العباسي وتناولت فيه عوامل إزدهاره في تلك العصر وتناولت العاملين (السياسي والإجتماعي)، ثم تحدثت عن وأهم شعراء الزهد واخترت شاعرين هما: الإمام الشافعي و أبي العتاهية.

٢. أما في الفصل الثاني فقد تناولت الزهد في شعر رابعة العدوية وتحدثت فيه عن حياتها ونشأتها قبل وبعد اليقظة الروحية، ومميزات شعرها، وفي المبحث الثاني تحدثت عن نظرية الحب الإلهي في شعرها.

أما في الخاتمة فقد ذكرت نتائج هذه الدراسة، ومن ثم كتبت قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتها الدراسة.

"بين أفراد الأسرة أب وثلاث فتيات صغيرات، ينتظرن جميعاً خلف باب بسيط يفصل المجلس عن الحجرة التي تشع نوراً بولادة طفلة صغيرة، جميلة مضيئة. صوت بكاءها كصوت تسبيح الملائكة من شدة براءتها.
"ماذا تسميها يا إسماعيل العدوي؟؟...
هي رابعة أخوتها سأسميها....رابعة"

(إنجي فراج، مخطوطة المسامير)

التمهيد

مفهوم الزهد: كانت الحياة في العصر العباسي تزدهر بألوان شتى من الترف، والانغماس في الدنيا وملذاتها، والبعد عن الله واللهو، و المنكرات وانتشار مجالس الخمور والموسيقى ، وكثرة العبث والاتجاه إلى الدنيا بلا وازع ديني، ولا رادع اخلاقي، وفي ظل هذه الظروف الغير مواتية لظهور حركة فكرية معتدلة شاع الزهد، ليدعو إلى الفضيلة ويذكر الناس بالآخرة ويقربهم من الله.

١.الزهد لغة: الز اء والهاء والدال أصل يدل على قلة الشيء، والزهيد الشيء القليل.فارس،١٩٧٩،ص٣٠).

غير أن كلمة الزهد لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة في قوله تعالى: **(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)** (سورة يوسف، آية٢٠).

"الزُهْد: خلاف الرغبة؛ زَهَدْتُ في الشيء أزهَد فيه زُهداً وزَهادة. والزاهد في الدنيا: التارك لها ولما فيها، والجمع زُهاد، والإزهاد: الفقر. والزَهيد: القليل من كل شيء؛ يقال: مال زهيد وشيء زهيد، أي قليل. وفي كلام علي إبن طالب عليه السلام" :الزاد زَهيد والسَفَر بعيد" (دريد، ١٩٨٧، ص٧١٧).

وهو قلة الشيء أو الشيء القليل، فإذا كان الرجل زاهداً في الشيء فهو يدل على أنه يرى هذا الشيء بأنه قليل لذا تركه (فارس، ١٩٧٩، ص٣٠). وجاء في لسان العرب: والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة، وزَهِد وزَهَد، وهي أعلى يزهد فيها زُهدا و زَهدا الفتح عن السيبويه، وزهادة فهو زاهد من قوم زُهاد، وزاد ثعلب: زَهُد ايضا بالضمة.وفي حديث الزهري، سئلة عن الزهد في الدنيا، فيقال: هو أن لا يلغب الحلال شكره، والحرام صبره (منظور، ١٩٨٥، ص١٩٦).

٢.الزهد اصطلاحا: هو حنين الروح الى مصدرها الأول لمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا ومتاعها والرغبة عن نعيمها، وتفضل نعيم الآخرة عليها(محمد، ٢٠٠٠، ص١).

ويكون بمعنى قصر الأمل في الدنيا واستصغارها وفراغ القلب منها والنظر إليها بعين الزوال ناظراً إلى ما هو خير منها. وأن تكون مطمئناً لرزقك الذي عند الله اكثر من الرزق الذي بيدك لتنشغل بما يقربك لله تعالى. (عويضة، بدون سنة، ص٤٥٤). وقال الامام أحمد: الزهد في الدنيا قصر الأمل. (الرؤاسي، ١٩٨٤، ص٦)

أما الزهد عند الصوفية هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وقيل إن الزهد ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة، وقيل أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك، ومنه جاء مصطلح الزاهد أى المعرض عن متاع الدنيا ولذاتها. وهناك من فرق بين الصوفى والزاهد والعابد، فيذكر ابن سينا أن المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد، والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يسمى العابد، والمنصرف بفكره إلى الله مستديماً لشروق نور الحق فى سره يخص باسم العارف. الزاهد من يزهد فى الدنيا، والصوفى يزهد فى كل ما يبعده عن الله، الزاهد يحرم نفسه

من متاع الدنيا، والصوفى لا يحرم نفسه من متاع الدنيا إلا إذا حجبته عن الله، الزاهد غايته دخول الجنة، والصوفى غايته معرفة الله، الزاهد لابد أن يملك حتى يزهد فيه، والصوفى لا يشترط أن يملك شيئا حتى يزهد فيه، وعلى ذلك فإن الزهد بالمفهوم الصوفى أن تكون الدنيا فى يده لا فى قلبه. ومن ذلك نرى أن كل صوفى زاهد، وليس كل زاهد صوفي. والتصوف أعلى منزلة من الزهد، وقد ظهر الزهد عند المسلمين عندما إتسعت فتوحاتهم وكثرت غنائمهم، وأقبل كثيرون منهم على الدنيا وجنحوا إليها. (الشحود، ٢٠٠٣، ص٣٣٦).

الفصل الأول: أدب الزهد في العصر العباسي

تطور شعر التدين بتطور الحياة الروحية، ولم تلبث معالم الزهد أن أخذت تضهر فيما كان يتمثل به من ذلك الشعر، وأخذ يستجيب لهذه الأفكار الجديدة التي ضهرت على الحياة الروحية في الإسلام ويعبر عنها تعبيراً صادقاً. فأخذ مفهوم هذا الشعر في التحويل والتغير تبعاً لإختلاف الموضوع، فظهر في هذا الشعر الدعوة إلى ترك الدنيا وذم الإقبال عليها والاكتفاء بما يسد الرمق والانقطاع إلى الله والتوكل عليه والثقة بما عنده المجاهدة في سبيل مرضاته. وأطلق على شعر التدين في صورته الجديدة إسم "شعر الزهد" وهو طور جديد من أطوار شعر التدين يختلف عن طوره الأول في شدة توغله في الروحية واشتماله على المقومات الجديدة للحياة الروحية في القرن الثاني وما بعده، وقد زاد من مكانة الشعر الزهدي في تلك الفترة أن أصبح له شعراء منقطعون للقول فيه وهو شيء لم يكون لشعراء التدين في القرن الأول وما سبقه من قرون، وأصبحت شخصية شاعر الزهد من الشخصيات المألوفة في الحياة الروحية في ذلك الوقت، وكما هو مألوف دائما أن التحول والانتقال من حال إلى حال لابد له من عوامل تهيء له، فنجد أن شعر الزهد وجد ازدهاره في العصر العباسي وبلغ ذروته في هذا العصر، ويعود ذلك لعوامل سياسية واجتماعية وفكرية علاوة على الفوضى الدينية وتيارات الزندقة والإلحاد وبعث المذاهب والديانات الأعجمية المختلفة(متولى، ١٩٧٢، ص٥٧) .

المبحث الأول: عوامل ازدهار الزهد

١- **العامل السياسي :** كانت الحياة السياسية في العصر العباسي مضطربة، فالشعوبية على أشد ما تكون ضراوة بين الفرس والعرب، وقد أندست في شتى مناحي الحياة وتسترت تارة بالأدب والتشيع والحديث والفقه واعتصمت تارة أخرى بحركات الزنادقة، ولم تأل جهداً في إستغلال الفتن الداخلية كما حدث في الخلاف بين الخليفتين الأمين والمأمون، وهذا النزاع شطر المجتمع العباسي إلى شطرين: أحدها الفضل بن سهل الفارسي يناصر المأمون باعتباره فارسي الأصل، والأخر الفضل بن الربيع العربي يناضل ويكافع عن الأمين العربي أبا وأماً. واحتدم الصراع بين الأخوين وانتصر المأمون (حسين، ١٩٦٨، ص٨٩). يعتقد أحمد أمين أن كثيراً من الشعوبيين الفرس كانوا يحسون في أعماق أنفسهم وهم ينكلون بالعرب الذين يشورون في أنحاء المملكة العباسية أنهم ينتقون من يوم القادسية المشهور(أمين، ١٩٥٦، ص٦٥). وهو اليوم الذي سجل فيه العرب انتصارهم على الفرس، فليس غريبا أن نشاهد الشعوبية وراء الكثير من الأحداث السياسية الداخلية أو الثورات التي قامت بعد مقتل أبي مسلم كثورة سنهاذ(إبن واضح، ١٩٦٤، ص١٠٧).

ويرى كثير من الباحثين أن الشعوبية زينت الزهد وزخرفته بالغرائم العربية عن المجد والتفوق وإنزاف لمخزون القوة فيها بصرفه نحو الغيب والسكينة القلبية والغني الروحي، والمتتبع للتاريخ العربي والإسلامي يرى أن دخول الفرس في الإسلام وولاءهم للعرب لم يكونا صادقين، فظلت تمثل في نفوسهيم النزعة الدينية والقومية لتظهر وتنبعث كلما أحست في الكيان العربي روح الوهن والضعف، فأسقط اسم المأمون من الخطبة في الجمعة وأسس الدولة الطاهرية وهي أول دولة إستقلة عن الخلافة العباسية (الطبري، ص١٦٩).

أما من ناحية ثورات الأحزاب، فقد كان العصر مضطربا أيضا، منها الصراع الحزبي الذي أقضى مضجع الدولة، فقد تحددت الأحزاب السياسية التي ترجع نشأتها إلى عهد معاوية ومن نهج نهجه من خلفاء بني أمية في توطيد دعائم الملك الأموي، فالخلاف بين علي ومعاوية وإنقسام المسلمين حزبين: حزب علي وحزب معاوية، ونشوء الخوارج ثم تجدد الخلاف بين الشيعة والأمويين إثر مصرع الحسين ومأساة كربلاء وقيام حزب الزبيريين الذي دعا لعبدالله بن الزبير بمكة سنة ٦٣هـ ، فحزب العباسيين الذي قوض العرش الأموي، كل هذا أدى الى إضطرابات وفتن كثيرة(متولى، ١٩٧٢، ص٥٩). أما الخوارج فهم الفئة الأكفاء بعد وقعة "صفين" فكانوا أعداء الأمويين وأعداء العلويين وكانوا يرون أن الخلافة ليست وقفا إلا على الإكفاء من المسلمين، وكان أن تفاقم أمرهم في آخر عهد الخلفاء الأمويين أيام مروان بن محمد فثاروا بقيادة أبي حمزة في الحجاز وحضرموت(حسين، ١٩٦٨، ص٤).

وكانت الفرق الاسلامية من ذيول هذه الفوضى السياسية من شيعة وخوارج ولقد تطور الجدل وكثر البحث في المكائد وتشعب وأثيرت قضايا العقل والسمع والتوحيد والصفات الإلهية، أشهرها فتنة خلق القرآن التي امتحن بها كثير من العلماء حتى بعد عصر المتوكل، وانقسمت الفرق فيما بينها شيئا فشيئاً، فالمعتزلة تشعبت إلى نحو ثلاثة عشرة فرقة والخوارج إلى عشرين فرقة تقريباً والشيعة إلى زهاء ثلاثين والمرجئة إلى مايقرب من سبع.(الشهرستاني، ١٩٥١، ص١٧٠-٢١٨-٢٣٤).

وهذا أدى إلى إنقسام المسلمين قيعاً وطوائف يناهض بعضها بعضاً، بل يحاول بعضها القضاء على الدولة نفسها(حسين، ١٩٦٨، ص٣). ووجد المسلمون أنفسهم وسط جو لم يألفوه منذ قيام دولتهم، الأمر الذي جعلهم يتدبرون موقفهم ويفكرون في النجاة عن الطريق العودة إلى الله، ومم أعان على نمو علم الكلام في الحياة العباسية من تطور في التفكير، فقد استراح المسلمون من عناء الفتح وأحسوا طمأنينة الاستقرار والهدوء، فمال عقلهم إلى النظر والتأمل في قضايا لم يتح أسلافهم المسلمين الأولين بحثها والجدل فيها، وأعان على ذلك أيضاً ما تسرب من أفكار دخيلة عليهم فقد اعتنق الإسلام أقوام مختلفون من ديانات مختلفة يهودية ومسيحية ومأنوية وزردشتية(متولى، ١٩٧٢، ص٦٢-٦٣).

ب-العامل الاجتماعي: واكب حياة الهدوء والاستقرار بعد الفتح الإسلامي رخاء وازدهار في اقتصاديات الدولة الإسلامية ، وقد كان لهذا آثار سيئة إذ إن حياة الترف أنذرت بتخلي قسم من الناس عن روح الدين، متجهين للهو والملذات وقد أعانت السياسة الأموية على ذلك باسباغ العطايا والمنح الجزيل على أهل الحجاز لإشغالهم عن السياسة والخلافة (الشيخ، ص١٥٩). ولقد عرف العرب في الجاهلية حياة البداوة والخشونة والترحال وكانت لديهم النزعة العقلية الخاصة بهم، وبعد مجيء الإسلام وتوسع الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي، دخل الترف إلى المجتمع إثر إمتلاء خزائن الدولة، ومع ذلك فإن هذا العصر لم يبلغ الذروة التي وصلها العصر العباسي الذين نقلوا الخلافة إلى بغداد وورثوا ما في الأرض من حضارات سياسية،كلدانية، آرامية، وبيزنطية، ويونانية وحضارات مصر القديمة. وكانت العلوم اليونانية والعقل اليوناني من بواعث التصنيف والاشتغال للعلوم وكان العقل الهندي من بواعث الزهد والحكمة، أما الحضارة الفارسية من بواعث الزخرفة والتفخيم والموسيقى. وهكذا جرى في العقل العربي وعي علمي شامل، هز كيانه هزا عنيفا، ومال به إلى الفطرة والتقسيم المتسلسل والتحليل، والتعليل، وإلى توسيع الثقافة العربية ووضع علوم اللغة على نحو وبيان وعروض، وما ذلك وإلى التعمد إلى صناعة علمية في الصياغة اللفظية والزخرفة التعبيرية (سميرة، ٢٠١٥، ص٩).

ويقول حنا فاخوري" الشعر العباسي مجموعة ضخمة عصفت بها المؤثرات المختلفة، وتقلبت حولها العوامل المتباينة وهذه العوامل تخلق شعرا جديدا في جوهره جديدا في فنونه ولاسيما أنهم امتزجوا بغيرهم من الشعوب امتزاجا عنصريا" (فاخوري، ١٩٨٦، ص٦٦٦). وبجانب الثراء والترف والغناء، انتشر المجون وشرب الخمر والغزل الماجن المناقض للعقيدة الإسلامية، عند عينة من الشعراء الذين تقربوا إلى الخلفاء والأمراء، وهذا ما يدل على الإنحلال الخلقي والابتعاد عن الدين الذي ساد ذلك العصر، ومن أبرز الشعراء الذين انغمسوا في هذه الحياة هم "أبو نواس – بشار بن برد – ومسلم بن الوليد"، وامتلأت الحانات بالخمور والخمارات والقيان وانتشرت الفواحش من جهة، بينما كانت مساجد بغداد مملوءة بالمصلحين والعبّاد، والنسّاك من جهة أخرى، وكان بعض الوعاظ يقتحم قصر الخليفة ليعظ الخليفة، أمثال عمرو بن عبيد وصالح بن عبد الجليل وابن السماك، وكان الوعظ يلتحم بالقصص لأخذ العبرة والعظة (هدارة، ١٩٦٣،ص١٢).

ومن هنا ظهرت حركة الزهد في العصر العباسي الذي سبقته حركة التصوف الإسلامي، وهكذا كانت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي تجمع بين حركتين متناقضتين، وهما المجون والزهد، فموجة الزهد لم تكن أقل حدة من موجة المجون، ويظن أنه دخلتها عناصر أجنبية مختلفة من زهاد الهنود وزهاد المسيحية، ورهبانها حتى من زهود المانوية (ضيف، ص١١٤). وهما نتيجتان طبيعيتان للترف والغنى الزائد في تلك الفترة. **يقول أنيس مقدسي:** في كل عصر وفي كل قطر، إذا كثرت أسباب الغنى والترف نشأ في

المجتمع البشري مجريات متطرفات: الأول مجري العبث والخلاعة والثاني مجري الحرص والتقشف. (هدارة، ١٩٧٠،ص٧٦).

فقد شهدت تلك الفترة تيارين متضادين، كل منهما يمضي غايته: تيار الزهد وتيار المجون، حيث كان تيـار المجـون سـببا رئيسـا في ظهـور تيـار الزهـد..... كما إن وجـود تيـار الزهـد المضـاد لتيار المجون منطق طبيعي لتطور الأشياء (هدارة، ١٩٧٠ ، ص٢٧٧).

بينما يرى شوقي ضيف بأنه حدث تغير واسع في اللغة العربية أثناء العصر العباسي حين اتخذها الأجانب من الأعجام وسيلة للتعبير عن فكرهم وشعورهم، غير أن ذلك انحسر عن تغيرات طفيفة، وإن كان العباسيون أنفسهم يشيرون إلى ما يسمى بأسلوب المولدين، ولكن هذا الأسلوب لم يتحول تحولاً تاما إلى صورة مخالفة للصورة القديمة (هدارة، ١٩٧٠، ص٨٤). إن لهذا العامل أشكالا وأصنافا من السلوكيات التي ترتبط به، ومنها: الانشغال بأمور الحياة، والبذخ خاصّةً في الطبقات الحاكمة، وظهور اللّهو في المجالس، والشراب، وانتشار السرقات، والفساد في البيع، وغيرها من الأمور التي شهدها العصر العباسي، والتي ساهمت بدورها في ظهور مجموعة جعلوا لأنفسهم قراراً خاصا تجاهها، فنبذوا كل الغايات الدنيوية، وطالبوا بالعودة إلى الالتزام بالدين، والقيم الإسلامية العليا، بالإضافة إلى اتباع نهج الرسول -صلى الله عليه وسلّم-، والصحابة -رضوان الله عليهم (فرحان،ص٧٤).

وهذه الفكرة نجدها متمثلة بقول الشافعي :

"دع الأيام تفعل ما تشـاء.....وطب نفسا بما حكم القضاء

ولا تزعج لحادثة الليالي..... فما لحوادث الدنيا بقاء". (الشافعي، ١٩٩٦، ص١٠).

المبحث الثاني: أهم شعراء الزهد

يعتبر الزهد مذهباً شعرياً مستقلاً من مذاهب الشعر العربي، حيث سنجد أن للزهد قصائد مستقلة وشعراء معينين عرفهم العرب بزهدهم. وقد استقر ازدهار القصيدة الزاهدة في العصر العباسي حيث بدأت أبيات الزهد كجزء من المواضيع، ثم أخذت تستقل حتَّى شكلت مذهباً مستقلاً له رواده ومريدوه، وإن الحديث عن شعر وشعراء الزهد يدعونا إلى أن نقف أمامهم لنقسمهم على أقسام: شعراء زهدوا منذ نشأتهم منهم محمد الوراق، والإمام الشافعي. شعراء نظموا في الزهد وفي أغراض أخرى كأبو العلاء وأبو العتاهية، وشعراء زهدوا بعد مجون مثل أبو العتاهية وأبو نؤاس. وسنعرض لاثنين منهم :

١- الإمام الشافعي: وهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد الله بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي الطلبي، و كُنيته أبو عبدالله وعلى يديه ظهر المذهب الشافعي، ولد الإمام الشافعي في غزة سنة مئة وخمسون للهجرة وكان أكثر سُكان المنطقة من أهل اليمن (عبدالمجيد، ٢٠١٩،ص١-٣). وامتاز برفعة نسبه وقُربه من رسول الله (ﷺ)؛ لأن أحد أجداد الإمام الشافعي لقي النبي (ﷺ) في فترة الصبا، والجد الآخر للإمام الشافعي كان صاحب راية بني هاشم في غزوة بدر، ويلتقي الإمام الشافعي مع الرسول (ﷺ) بالنسب في عبد مناف وبذلك يكون نسب الإمام الشافعي الجليل هاشمي أصيل من جهة الأب والأم. نشأ الإمام الشافعي في أسرة فقيرة، إثر موت أبيه في صغره، فانتقلت أمه به من غزة إلى مكة حفاظًا على نسبه الشريف، وليربى بين أهله وقومه. وأرادت أمه له أن يكون قويم اللسان فآثرت إرساله إلى البادية ليتعلم اللغة العربية والفصاحة، فلازم قبيلة هذيل في حلهم وارتحالهم، حتى حفظ أشعارهم، وحسنت لغته حتى أصبح حُجة في اللغة. ونصحه بعضهم لنسبه الشريف وجودة قرحته أن يتعلم الفقه، فعمل بهذه النصيحة. لما عاد الإمام الشافعي من البادية عكف على تعلم الفقه وأذن له بالإفتاء وهو دون سن العشرين، وحفظ موطأ الإمام مالك وانتقل إلى المدينة وعرضه عليه، ولازمه إلى أن توفي (أبو زهرة،١٩٧٨، ص١٥-٣٠).

أجمع العلماء على أنّ الإمام الشافعي هو أول من ألّف في أصول الفقه، ورسالته الأصولية هي أول رسالة أُصولية تصل إلينا، هو كتاب في علم الأصول يتحدث فيه عن أصول الفقه وبيان القرآن بالسنة والاحتجاج والناسخ والمنسوخ(عبدالمجيد، ٢٠١٩، ص١٤). كما كان ورعاً متعبداً متواضعاً. فقد ورد عنه أنه كان يختم القرآن الكريم في صلواته في شهر رمضان ستين مرة، وكان فصيحاً عالماً باللغة، فقد ورد عنه أنه كان أنطق الناس وأعلمهم باللغة و فصاحة اللسان وعلم البيان. كان فقيهاً عالماً بأحوال الدنيا والدين. (أبي حاتم، ٢٠٠٣، ص٧٨)

امتاز الإمام الشافعي برجاحة عقله وفصاحة لسانه؛ وذلك بسبب جذوره الراسخة في عالم العلم من نسبه الرفيع، فقد صدر عن الإمام الشافعي الكثير من الحكم والمواعظ التي تؤكّد أهميّة العلوم الشرعية واللغة وكونها أبواباً لبلوغ الدرجات العُلى في الخُلق الحسن والمروءة (هشام مغربية، ٢٠١١، ص٤٤).عانى الإمام الشافعي من مرض البواسير، وقد بلغ فيه درجة متقدمة من الألم والعناء بسبب النّزيف الذي كان يملأ ثوبه، وكان يطلب من تلاميذه الدعاء المستمر له بتخفيف الكرب عنه لشدّة تألّمه، وتوفيّ في مصر ليلة يوم الجمعة سنة مئتان وأربعة للهجرة، وكان عُمره أربعٌ وخمسون عاماً (فريد، ١٩٩٨، ص١٢).

كان الإمام الشافعي لين القلب يرى نفسه دائما كالمسافر في هذه الدنيا لذا كان يلازم إمساك العصا من غير ضعف، وكان يؤثر الزهد عن الدنيا والترفع عن متعها المزخرفة. ومن ثم كان يلبس من الملابس التي قل ثمنها إبتعادا من رفاهية هذه الدنيا الدنيئة (عبد السجان، ١٩٨٦، ص١٠٨-١١٦).

الزهد مقام رفيع لأنه سبب لمحبة الله تعالى، ولذا دعا إليه الكتاب والسنة، وأشاد بفضله أئمة الدين، قال الإمام الشافعي: عليك بالزهد، فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلي على الناهد، ويقول أيضا: من زهد في الدنيا قرت عيناه غدا بما يرى من السرور.(الجرداني، ص٤٩٩).

من قصائده :

"دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسا إذا حكم القضاء

ولا تجزع لحادثه الليالي فما لحوادث الدنيا بقاء

وكن رجلا على الأهوال جلدا وشيمتك السماحة والوفاء

وإن كثرت عيوبكفي البرايا وسرك أن يكون لها غطاء

تستر بالسخاء فكل عيب يغطيه كما قيل السخاء

ولا تر للأعادي قط ذل فإن شماته الأعداء بلاء

ولا ترج السماحة من بخيل فما في النار للظلمان ماء." (الشافعي، ص٤٣)

فالشافعي هنا يرفض أن يقف الإنسان مكتوف لدين أمام مصاعب الحياة، فاقد الوسيلة والحيلة حيالها، بل هو يطالب الإنسان بالصبر والتجلد والعمل، لأن الحياة ترفض الخمل والانكسار والضعف. كما ويشير إلى التسليم والإيمان بالقضاء والقدر، وأن مصائب الليالي ونوائبها الليالي، سوف تزول فلا بقاء لها، وهي سنة الله في أرضه، ويطالب الشاعر المرء في صدر البيت أن يكون قويا صلدا أمام الشدائد، ولعل الغرض من تخصيص الشاعر الرجل بالخطاب دون المرأة، كون صفة القوة والتصلد تكمن في الرجال أكثر من النساء، فبالجود والكرم يستطيع المرء إخفاء عيوبه على أعدائه، والناس كافة، ويحاول الشاعر عن طريق المقارنة بين السخاء والبخل، الإشارة إلى أن الرزق بيد الله، فالسخاء مطلوب دائما وأبدا ما دام البخل لن يزيد في الرزق شيئا، كما أن السخاء لن ينقصه كذلك(الشافعي، ص٩).

٢- أبو العتاهية:

هو أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان وكنيته أبو إسعاق وأبو العتاهية لقبه، روي أن المهدي قال له يوماً، أنه إنسان متحذلق، مُعتّه، فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون إسمه وكنيته وسارت له في الناس...وقيل كني بأبي العتاهية لأنه كان يحب الشهرة والمجون والتعتة (الأصفهاني، ص٣-٤).

نشأ في الكوفة وتلقى علومه فيها وكانت آنذاك مركزا للعلم والأدب، وكان لقسم من الموالي الذين عاشوا في هذه المدية أثر كبير في إنتشار المجون والخلاعة والزندقة والشعوبية، وكان أبو العتاهية ذكيا يتردد إلى حلقات العلماء والأدباء ونبغ في نظم الشعر، وهو في المقتبل العمر (رشيد، ١٩٨٩، ص٨٨). جر أبو العتاهية أذيال الخيبة والفشل إلى الكوفة ولم يمكث فيها طويلا، إذ جاء صديقه إبراهم الموصلي بالتوجه إلى بغداد، فستجاب له ونظم قصيدة في مدح الخليفة المهدي نالت رضاه، وبذلك انفتحت له أبواب الشهرة ،ونال بعدها جوائز الولاة ، أحدهم عمر بن العلاء الذي وصله على قصيدة واحدة سبعين ألف درهم (القيرواني، ١٩٥٣، ص٢٢٤).

وفي البلاط العباسي رأي جارية جميلة فتانه تسمى(عتبة)، فتابعها ولاحقها ونظم شعرا رقيقا يحاول به أن إلى قلبها وينالها. من ذلك قوله:

يا عتب سيدتي! أما لك دين؟ حتى متى قلبي لديك رهين؟ (أبي العتاهية، ١٩٨٦، ص٤٥٨).

عاش أبو العتاهية حياة لاهية عابثة ثم عاف تلك الحياة بعد تجوازه الخمسين من عمره والتجأ إلى الزهد وتقوى الله وعبادته، وقد اختلف الدارسون في هذا التحول، فقد رأى محمد خليفة أن وراء زهد أبي العتاهية وتحوله من تيار اللهو المجون إلى الإيمان وتقوى الله عاملين رئيسين: أولهما: أحساسه الدفين بضعة أصله، وهذ الإحساس النفسي حملة على أن ينادي بأن تقوى هي العز والكرم كما في قوله:

"دعني مي ذكر أب وجد ونصب يعليك سور المجيد

ما الفخر الأ في التقى والزهد وطاعة تعطي جنان الخلد".

والعامل الثاني: حبه لعتبه، وكان بلا أمل فصار بذلك حرماناً جديداً أضيف إلى أسباب تنسكه، ويرى خلف الله أن صدمته في حبه لعتبه هي نقطة التحول الحقيقة في حياته. (العاني،١٩٦٨، ص٨٥)

ويضيف الدكتور مصطفى هدارة عاملا ثالثا: هو اتصاله بالثقافات المختلفة في عصره، ولا سيما حركة الزهد التي بدأت تأخذ طريقها في ذلك الوقت (هدارة، ١٩٦٣،ص٢٩٣).

ما محمد بن برانق فقد قال: ما كان شعره في الزهد لله ولكنه طريق سلكه في شعره لإظهار الحسرة والأسى على حبيبته عتبة. (الصعيد، ١٩٣٩، ص٣١).ويحدد أبو العتاهية معالم طريق الزهد التي ينبغي أن يسلكها الزهاد، وهذه المعالم تؤسس على عناصر أساسية كالتقشف، واعتزال الناس، واستحضار التاريخ للعبرة والتأسي، ويعبر أبو العتاهية عن ذلك فيقول:

"رغيف خبز يابس تأكله في زاويه

وكوز ماء بارد تشربه من صافيه

وغرفة ضيقة نفسك فيها خالية"(أبو العتاهية، ١٩٨٦، ص٤٨٨) .

أشعار و قصائده لشعر الزهد يشتمل على مجموعة من الموضوعات

١- الموت:

فكرة الموت ذلك المصير المحتوم للإنسان بل لكل حي كانت أقوى أسلحة أبي العتاهية يعزف عليها فيزلزل قلوب العصاة والمؤمنين على السواء، فهو يخاطب الإنسان الذي نسي الموت ويطلب الخلود في الدنيا؛ لا تثق بالدنيا وبالصحبة فيها فالموت يأتي ويفرق هذه الجماعة، ثم يأتي له بدليل آخر على الموت ألا وهو موت الأبوين قال:

"أنساك محياك المماتا فطليت في الدنيا النباتا أوثقت بالدنيا وأنت ترى جماعنها شتتا

وعزمت منك على الحياة وطولها عزما بتتا يا من رأى أبويه في ما قد رأى كانا فماتا". (أبي التاهية، ١٩٨٦، ص٩٣)

٢- الوعظ والنصح:

كان أبو العتاهية متعدد الجوانب موزع النشاط ومفتاح تلك الشخصية المعقدة شعوره بالنقص بسبب منبته المتواضع، وقد دفعه ذلك الشعور في اتجاهين رئيسيين الأول دفعه إلى مهاجمة الطبقات العليا في المجتمع، وصار بذلك من الثوار والمتمردين. أما الثاني فدفعه إلى أن يلبس مسوح الوعظ والمتصوفين لكي يتلقى معهم تكريم العامة واحترامهم، وصار بذلك من دعائم الاستقرار وحماة الآداب والتقاليد، والقارئ لشعر أبي العتاهية يرى فيه قدرا كبيرا من الوعظ الخالص، ومنه قوله:

"أتلهو وأيامنا تذهب ونلعب والموت لا يلعب عجبت لذي لعب قد لها عجبت ومالي لا أعجب

أيلهو ويلعب من نفسه تموت ومنزله يخرب ترى كل ما ساءنا دائما على كل ما سرنا يغلب" (أبي العتاهية، ١٩٨٦، ص٥١).

٣- اعتزال الناس:

يروي ابنه محمد بن أبي العتاهية أن أباه بعد أن خرج من سجن الرشيد الزم بيته وقطع الناس، وحاول الرشيد أن يبثنيه عن ذلك لكنه كتب إليه بيتين يعلن فيهما برمة بالناس وأخلاقه واستئناسه بالوحدة:

"برمت بالناس وأخلاقهم فصرت أستأنس بالوحدة ما أكثر الناس لعمري وما أقلهم في حاصل العدة".

ففي البيت الأول يخبرنا أبو العتاهية أنه قطع صلته بالدنيا ورق شباك الأمل فيها ورجع عن الرحلة إليها، وعدل عن الجري وراءها والسعي في طلبها، بحيث يذهب في البيت الثاني ليبين لنا بأنه يئس من بقائه لما ملك من حطام الدنيا، لهذا لا يريد أن يربط نفسه به ولا يعول عليه ولا يهتم به (أبي العتاهية، ١٩٨٦، ص١٥٤) .

الفصل الثاني: الزهد في شعر رابعة العدوية

من الشخصيات المحورية في الزهد رابعة العدوية، وهي صاحبة فضل وفكر ومدرسة، وشخصية نبيلة وعظيمة، روحانية وراهبة من راهبات الفكر الصوفي الأصيل.

المبحث الأول: حياتها ونشأتها قبل وبعد اليقظة الروحية

رابعة العدوية هي رابعة بنت إساعيل العدوي، ولدت في مدينة البصرة، ويرجع مولدها حوالي عام (١٠٠هـ\ ٧١٧م) من أب عابد فقير، وهي ابنته الرابعة وهذا يفسر سبب تسميتها رابعة فهي البنت "الرابعة" (فراج، ٢٠١٩، ص١٩). نسبه إلى بني عدوة العتيكة القيسية، وأخيرا البصرية، و كانت كنيتها أم الخير فرابعة إسمها، وعدوة فخذ من آل عتيك، وآل عتيك بطن من بطون قبيلة قتيس.(غريب، ٢٠٠٠، ص٢٧).

وقد توفى والدها وهي طفلة دون العاشرة ولم تلبث الأم أن لحقت به، لتجد رابعة وأخوتها أنفسهن بلا عائل يعينهن على الفقر والجوع والهزل، فذاقت رابعة مرارة اليتم الكامل دون أن يترك والدها من أسباب العيش لهن سوى قارب ينقل الناس بدراهم معدودة في أحد أنهار البصرة كما ذكر المؤرخ الصوفي الفريد الدين عطر في (تذكرة الأولياء). حيث كانت تخرج لتعمل مكان أبيها ثم تعود بعد عناء تهون عن نفسها بالغناء وبذلك أطلق الشقاء عليها وحرمت من الحنان والعطف الأبوي، وبعد وفاة والدها غادرت رابعة مع أخوتها البيت بعد أن دب البصرة جفاف وقحط و وباء وصل إلى حد المجاعة، ثم فرق الزمن بينها وبين أخوتها، وبذلك أصبحت رابعة وعيدة مشردة، وأدت المجاعة إلى إنتشار اللصوص وقطاع الطرق، فخطفت رابعة من قبل أحد اللصوص وباعها بستة دراهم لأحد التجار القساة من آل عتيق البصرية، وأذاقها التاجر سوء العذاب، ولم تتفق آراء الباحثين على تحديد هوية رابعة فالبعض يرون أن آل عتيق هم بني عدوة ولذا تسمى العدوية (فراج، ٢٠١٩، ص١٩).

عملت برهة في الغناء والعزف على الناي وما يتصل بها... ...ولكنها تابت بعد ذلك وحملها ندمها على ما فيها أن تمعن في الزهد والتصوف، لتصبح صوفية كبيرة وعابدة مشهورة (إبن خلكان، ١٩٠٠، ص٢٨٥). لتصبح الصوفية المسلمة التي قضت عمرها منذ توبتها وهي تحترق بنار الحب الإلهي في آخر حياتها (بدوي، ١٩٦٨، ص٦٠). تأثرت بالثقافات الواسعة ولعبت الوراثة والبيئة بالإضافة إلى إستعداد شخصي دوراً حاسما في تشكيل شخصية رابعة العدوية(الحفني، ١٩٩١، ص٧٠-٧١).ومما يرويه الرواة عن حياة رابعة العدوية أنها كانت شديدة الذكاء وأنها حفظت القرآن الكريم في سن سغيرة (غريب، ٢٠٠٠، ص٢٨).

لقبت رابعة العدوية بشهيدة العشق الإلهي وسيدة العاشقين وكُنيت بأم الخير، وكانت عابدة ناسكة، وقد كنيت بأم الخير أم إسماعيل وأعربت مؤسسة عقيدة العشق الإلهي الحقيقي الذي قوم على عبادة الله لأجل كسب رضاه وليس لأجل الفوز بالجنة والنجاة من النار. قد أحبت رابعة العدوية خالقها حبًا شديدًا وهي من معتنقي مذهب التصوف والصوفية، وقد اعتنقت هذا المذهب على يد رياح بن عمرو القيسي، وهي صاحبة المقولة المشهورة "إن الإنسان يجب أن يحب من يحبه أولًا وهو الله (الشريشي، ٢٠٠٦، ص١٦٥).

وهي أول من نقل الزهد إلى الأفق الصوفي الإسلامي، وهي أول من حول الزهد من الخوف إلى الحب، ومن البركة إلى المعرفة، ومن الحرمان إلى الرضا، ومن القسوة إلى الإشراق، وهي أول من جعلته ذا ألوان روحية، وأهداف وجدانية، وهي أول من تقرب إلى الله من خلال "الحب الإلهي" وكانت رائدة في هذا المجال ، ومما أثر عنها قولها:"اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم" (خضر، ٢٠٠٩، ص٦).

تمتعت رابعة بموهبة الشعر وتأججت تلك الموهبة بعاطفة قوية ملكت حياتها فخرجت الكلمات مناسبة من شفتيها تعبر عما يختلج بها من وجد وعشق لله. وتقدم ذلك الشعر كرسالة لمن حولها ليحبوا ذلك المحبوب العظيم. ومن أشعارها في إحدى قصائدها التي تصف حب الخالق تقول:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عمر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح الود فيك فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب (فراج، ٢٠١٩، ص٢١)

ومن أشهر قصائدها حب الهوى والتي تظهر مدى حبها لله :

أحبك حبين: حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا (كامل، ١٩٩٧، ص١٢٣).

تصرح الشاعرة بحبها لله جل شأنه، فتقول: إنني أحبك يا إلهي حبين مجتمعين: أولهما حب العشق والهوى لأنني فتنت بحسنك، وثانيهما فهو حب التعظيم والإجلال لأنك جدير بهذا الحب، ولا أجد من يستحقه سواك. وكيف لا وقد كشفت لي الحجب فرأيتك بعين الخيال على حقيقتك، ولست أنا صاحبة الفضل في هذا الحب فهو من المحبوب نفسه لأنه مستحق له لكماله. وهي توضح بأنها قد اغلقت قلبها عن باقي الناس وإن عشقها هو لله وحده. هذا البيت يبين مدى وفاء الشاعرة لعشقها الالهي . في بداية القصيدة قد لايتبين بأن القصيدة موجهه الى الله، فأن الله وحده هو من يعلم بكل شيء ولا يستطيع أحد أن يراه، استخدمت الشاعرة بعض الصور المجردة غير الحسية لتقوية المعنى الذي تريد إيصاله للقارىء. وان كانت قد استخدمت بعض الحواس مثل (أراك) و(كشفك لي الحجب) الا إن الصور الشعرية بعيدة عن الحواس. يقول أحمد بن أبي الحواري: كانت لرابعة أحوال شتى، فمرة يغلب عليها الحب، ومرة يغلب عليها الأنس، ومرة يغلب عليها الخوف، فسمعتها في حال الحب تقول:

حبيب ليس يعدله حبيب ولا لسواه في قلبي نصيب

حبيب غاب عن بصري وشخصي ولكن في فؤادي ما يغب.

وسمعتها في حال الأنس تقول:

وقد جعلت في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي.

وسمعتها في حال الخوف تقول:

وزادي قليل ما أراه مبلغي أللزاد أبكى أم لطول مسافتي!

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك أين مخافتي! (الحفني، ١٩٩١، ص٢٨)

وإختلفت الروايات حول تاريخ وفاة رابعة العدوية فمنهم من قال عام ١٨٠ هجري وآخرين قالوا ١٨٥ هجري. وقد توفت عن عمر ٨٠ عامًا وقيل أنها دفنت في القدس، إلا أنه لم يثبت سفرها وذهابها للشام والقدس ليثبت دفنها هناك، ولكن أغلب الروايات وأرجحها أنها دفنت حيث عاشت في البصرة (المرزباني، ١٩٠٠، ص١٢٨٧).

المبحث الثاني: نظرية الحب الإلهي في شعرها

يرد الحب الإلهي عند المتصوفة والزهاد بوصفه الحب المطلق الذي تجتمع فيه كل الأحاسيس الإنسانية إنه حب يعجز عن وصفه، إنه يتصدر مسلك حب الله، فهو سياق تبادلي بين الله والإنسان وبين الإنسان والله، فالحب الإلهي يصح أن يطلق على مأخذين، أحدهما الله سبحانه للإنسان وثانيهما حب الإنسان الله. فأما حب الله سبحانه للإنسان فهو إرادته لإنعام مخصوص عليه مثل القربة والأحوال العلية، أو هو مدحه له وثناؤه عليه بالجميل، أوهو صفة فعل الله عز وجل وإحساس مخصوص يلقى الله العبد به وحاله مخصوصة يرقيه إليها، وأما حب الإنسان الله سبحانه فهو حالة يجدها العبد من قلبه تلطف عن العبارة، وقد تغلب عليه هذه الحالة فتحمله على تعظيم محبوبه وتقديسه وإيثاره له ورضاه عنه...وشوقه إليه، وأنسه به وطول التغني بحبه، ودوام الذكر بقلبه (ليمام، ٢٠١٨، ص٨٢).

وهذا ما يرسخ لمحبة تلك الفاعلية المطلقة المستغرقة التي لا تزول، محبة نقية صافية. إنه حب يخرج عن هوى الذات المحبة إلى مطلق طاعته والانصياع لأمره، ليعلن المحب وحدانيته للمحب الذي يمنحه أعلى درجات العبودية وهذا ما نلمحه لدى رابعة العدوية، التي تعد من الجيل الأول من رعيل المتصوفين المسلمين، وأول شهيدة العشق الإلهي، وسميت كذلك لتماهيها في عشقها لذات الله، لذلك ظلت تفني أهوائها في ذكر الله والتقرب منه. لقد كانت بداية الحب الإلهي من الله تعالى لعباده ولكن هل يمكن أن تكون هذه العلاقة متبادلة أي أن يحب الإنسان الله كما يحب الله الإنسان؟. لقد أفرد الزهاد مساحات واسعة من كتاباتهم لموضوع الحب الإلهي، بل موضوعهم الأساسي حب الله والزهد، وكانت رابعة العدوية أول من قال بحب الله بلا علة تذكر، وهي من أقدم المتصوفين في التاريخ الصوفي الإسلامي، فقد وصلت في بدايات حركة التصوف إلى مرحلة متقدمة في حب الله وعشقها له، مما جعلها تحمل لقب شهيدة العشق الإلهي بعد أن وهبت حياتها كلها في الله والشوق للقائه (غريماس، ٢٠١٠، ص١٢).

وعليه نجد أن الشاعر الصوفي العاشق الولهان يسبح في عالم مطلق، عالم نقي طاهر، عالم تغيب فيه كل الشوائب، فيحمل كل أمتعته ويتوجه إلى تجسيد علاقته بمعشوقه الخالق الذي يفنى، فيذهب في وصفه أحسن الأوصاف على الإطلاق ووصف معاناته ومناجاته فيغذوا هذا الحب حبا مطلقا لا تكسره الأحوال فيحسن صنع النص الذي حتما سيكون مشبعا بكل العواطف والمشاعر الجياشة التي تلهب صدر المحب صوب محبوبة، فيكون النص حافلا بكل المدلولات والمسوغات التي من خلالها نسطتيع استنطاق النص وإفراغه من كل حمولاته الدلالية والجمالية التي تظهر في الحالات والتحولات التي تطرأ على القيم بفعل الذات، حيث تتحول الذات من حالة الاستقرار أو الإنفصال إلى حالة الإستقرار أو الإتصال، وتمر بذلك بعدة محطات رئيسية. حيث تظهر اللغة الصوفية والخطاب الصوفي أولا من خلال المعجم الصوفي الذي هيمن هيمنة مطلقة، إذ نجد مصطلحات من قبيل (الحب، الهوى، الذر، العشق، الوجد، اليقين) لتجسد الحب الإلهي. تقول رابعة العدوية في قصيدتها الحب الإلهي: (وازيدي، ٢٠١٧، ص٨٥)

عرفت الهوى مذ عرفت هواك وأغلقت قلبي عمن عداك

وقمت أناديك يا من ترى خفايا لقلوب ولسنا نراك

أحبك حبن: حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك

وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاكا ي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

تحمل هذه الأبيات دلالات رمزية، فالشاعرة تزهد في بوحها بحبها ومعاناتها المتواصلة التواقة للتقرب من المعشوق، فتثني على حبيبها بهذا العشق الذي تفرع إلى حبين، الحب الأول حب الهوى والذي تقصد به الشاعرة الحب المباشر الناتج عن مشاهدة اليقين الذي يظهر من خلال نعم الله عليها من إحسان وطاعة ، فهذه النعم هي التي زادت من تمسكها بحبيبها وتعلقها به ، فأدى إلى تقربها منه بعد انفصال، أي إحداث الوصال والتقرب من الله سبحانه وتعالى والعزوف عن كل الشهوات والملذات التي تشغل العبد عن ربه، فالذات هنا كانت منشغلة عن هذا الحب بطريقة الانفصال، أما الحب الثاني المتمثل في قولها " الذي هو أهل له " فتعني به حب الله وعظمته والشوق لرؤية وجهه العظيم، ثم تثني وتقول أن هذا الحب لا يوجد فيه جزاء " بل يوجب على كل شيء مما لا أطيقه ولا أقوم بحقك فيه أبدا، إذ كنت قد أحببتك فلزمني خوف التقصير ووجب علي الحياء من قلة الوفاء و الخوف لما تعرضت به من حبك " فهي تحمده وتكبره لأنها وصلت بهاذين الحبيبين إلى ما تسعى اليه وهو القرب من العاشق الإلهي الذي لا يموت، وتتجسد علاقة هذا الحب الإلهي من خلال الفئة الاستهوائية التالية (الحفني، ١٩٩٧، ص١٧٤)

تتجسد علاقة الحب بين الشاعرة والله سبحانه وتعالى فهي تناجي وتبوح بهذا الحب الذي يختلف عن الحب الآخر، تناشد الشاعرة حبا أبديا لا يزول، حب يعصمها عن كل الشهوات حب ملئ قلبها كلما تقربت أكثر من محبوبها، فهي تلوذ بهذا الحب في كل زمان ومكان، وبالتالي جسدت هذا الحب في مجموعة سلوكات وأحاسيس، فهي زاهدة عن كل الشهوات، جعلت شغلها له وحده دون إشراك أحد فيه. وهذا ما جسدته رابعة في حبها فهي لا تبغي أي شيء سوى التقرب من الله ورؤيتها له بكشف الحجاب عنه في هذه الباقة المكللة بهذا الحب الإلهي النقي الذي ولد في نفس الشاعرة حالة من الاعتراف والبوح تتخللها حالة من الشكر والثناء على كل النعم التي وهبها الإله، لهذا كانت له العاشقة الوفية فهجرت زوجها وهجرت النوم والأكل والشرب واعتزلت الناس ووهبت نفسها وروحها لعبادته عبادة خالصة، فكانت مكانة الحب الصوفي أعلى مرتبة (بهجت، ٢٠٠٢، ص١٠١-١٠٣). فالحب الذي تقصد به الشاعرة هو حب العبودية الخالصة لوجهه الكريم، وحب المعرفة الذي تقصد به رفع الحجب لرؤية معشوقها وحبيبها وأخذ الرضا منه والتقرب أكثر إليه والفوز برؤيته في الدار الآخرة، لذلك اتخذت من خلوتها وزهدها الوسيلة للظفر بحبه، فهو الجليل العظيم الذي يستحق كل الحب فحبه لا يزول له مكانته في العالم العلوي حب طاهر خالص منقح من كل الدنس والكره والنفاق .وبالتالي فان الذات المحبة هنا ذات توفرت على كفاءة استهوائية أهلتها إلى تحقيق موضوع قيمتها من حالة الانفصال (الانشغال بأمور الدنيا) إلى حالة الاتصال (التفرغ في حبا الله وطاعته والإخلاص في عبادته ، في أبياتٍ أخرى تقول الشاعرة:

يا شروري ومنيتي وعمادي وأنيسي وعدتي ومرادي

أنت روح الفؤاد أنت رجائي أنت لي مؤنس وشوق كزادي

أنت لولاك يا حياتي وأنسي ما تشتت في فسيح البلاد (الحفني،١٩٩١، ص١٠)

إلى غاية قولها: (الحفني، ١٩٩١، ص١٧)

راحتي يا إخوتي في خلوتي وحبيبي دائما في حضرتي

لم أجد لي عن هواه عوضا وهواه في البرايا محنتي

حيثما كنت أُشاهد حسنه فهو محرابي إليه قبلتي

فالشاعرة هنا في حالة اتصال بموضوع قيمتها المتمثل في الفوز بالحب الإلهي، الحب المطلق الذي لا يفنى، فالراحة التي تناشدها الشاعرة راحة الاهية، فهي تناشد الخلوة وتستلذ بها طالما الحبيب في حضرتها فهي تستأنس بوجوده دائماً. وقد عبرت هذه الأبيات عن جواب الشاعرة في رفضها للزواج لأن انشغالها الوحيد حب الله الذي نذرت له نفسها فهو موجود معها لا يفارقها، فمن خلال هذه الأبيات يظهر الجانب الحسي أكثر نتيجة تقليص الفجوة بين المحب والمحبوب، فرابعة تنفي بعد حبيبها عنها فهو حاضر في حسها وقلبها وجوارحها، ويتمثل الإحساس هنا بتقليص الفجوة بين العالم الحسي والعالم الإلهي فيحدث الاتصال ليسد تلك الفجوة حسيا وهذا ما نلمحه في المعجم اللغوي الصوفي الذي وظفته الشاعرة والذي أدى إلى بروز عاطفة الحب (الداهي، ٢٠٠٦، ص٣٥).

تظهر عاطفة هوى الحب في الخطاب الصوفي بارزة، فهو من أبرز الخطابات الحافلة بالأهواء والأحاسيس التي تختلج الذات الإنسانية وتحملها على البوح بمكنوناتها(غريماس، ٢٠١٠، ص٢٨). وهذا الانشطار هو الذي سمح للذات الشاعرة بالانصهار مع محبوبها والذوبان فيه وفنائها من أجل البقاء بالقرب منه، ومن الشواهد على ذلك قول رابعة العدوية: (الحفني، ١٩٩١، ص١٠)

وأنيسي وعدتي ومرادي يا سُروري ومنيتي وعمادي

أنت روح الفؤاد أنت رجائي أنت لي مؤنس وشوق كزادي

أنت لولاك يا حياتي وأنسي ما تشتت في فسيح البلاد

فهذه الأبيات تعبر عن حالة الزهد في الشعر الصوفي، فالشاعرة مترفعة عن كل الشهوات والملذات الدنيوية زاهدة عن كل الشهوات وهو وسيلتها للحب والتقرب إلى الله، فهي قابعة في خلوتها تستلذ بأنيسها الإلهي وترجوا لقاءه وشوقه، فهي تنتقل من مكان لآخر تناشد حبه الذي ملأ قلبها الندي(كندي، ٢٠١٠، ص٥٢). فالشاعر الصوفي نجده دائما تواقا إلى مغالبة النفس، والسمو الروحي المنشود عن طريق التدبر في الخلق ووضع وحدة الوجود فوق كل اعتبار، فرابعة لم تعد ترى شيئا في الوجود إلا الله سبحانه وتعالى فلا محبوب ولا معبود إلا هو لأنه أهل لهذا الحب.

الخاتمة

من خلال جميع ما قلنا وصلنا إلى نتائج عديدة منها:

- تطور الزهد بشكل واسع في العصر العباسي بسبب مجموعة من العوامل: السياسية، والإجتماعية، التي أثرت في نمو الزهد وإزدهاره.

- إن تيار المجون كان سببا رئيسا في ظهور تيار الزهد.

- أن الشعوبية زينت شعر الزهد من خلال العامل السياسي.

- إن شعر الزهد كان يدعو للعظة ودعوة الناس إلى التوجه لخالقهم وعبادته، وترك الدنيا والعمل للآخرة.

- هناك مجوعة شعرا لزهد: شعراء زهدوا منذ نشأتهم : محمد الوراق، الزهاد من العلماء: الامام الشافعي، شعراء نظموا في الزهد: أبو العلاء وأبو العتاهية، شعراء زهدوا بعد مجون مثل: أبو العتاهية وأبو نؤاس.... الخ.

- كان الإمام الشافعي لين القلب يرى نفسه دائما كالمسافر في هذه الدنيا، لذا كان يلازم إمساك العصا من غير ضعف، وكان يؤثر الزهد عن الدنيا والترفع عن متعها المزخرفة.

- يعتبر أبو العتاهية زعيم الزهديات في الأدب العربي قديمه وحديثه، لأنه صرف جهده إليه، وكان في زهده ناسكا عابدا، إسلاميا تماما.

- من أهم العوامل التي دفعت أبو العتاهية إلى الزهد تأثر نفسه بتنسك معاصريه وتماديهم في أسباب الترف.

- من خصائص شعر أبو العتاهية أنه كان غزير البحر، لطيف المعاني سهل الألفاظ.

- إقتصر شعر رابعة العدوية على غرض واحد من الأغراض الشعرية وهو شعر الصوفي.

- تعد رابعة العدوية الشاعرة التائبة الزاهدة، رائدة الحب الإلهي والعشق الرباني في الإسلام.

- تغلب على قصائدها مصطلحات الحب الإلهي، الحب، الشوق...إلخ.

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

ابن دريد، محمد بن الحسن، (١٩٨٧)، جمهرة اللغة، ط١، دار العلم للملاين.

ابن فارس، أبوالحسين أحمد، (١٩٧٩)، مقايس اللغة،دار الفكر.

إبن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الشافعي، (١٩٩٠)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف –بيروت.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٩٨٥)، لسان العرب،دار صادر.

إبن واضح، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، (١٩٦٤)، تاريخ اليعقوبي، نجف ، ص١٠٧

أبو العتاهية، (١٩٨٦)، ديوان أبي العتاهية، دار بيروت.

أبو زهرة، محمد ، (١٩٧٨)، الإمام الشافعي حياته وعصره، دار الفكر العربي، ط١.

أبي حاتم، إبن ، (٢٠٠٣)، كتاب آداب الشافعي وسيرته، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١.

أحمد، أبو العباس شمس الدين، (١٩٠٠)، وفيات الأعيان، مج٢، دار صادر-بيروت.

الأصفهاني، أبو الفرج ، الأغاني، دار المعارف-مصر.

إمام الشافعي، إمام أبي عبدالله محمد بن إدريس، (١٩٨٥)، ديوان الشافعي، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، ط٢.

أمين، أحمد، ١٩٥٦، ط٥، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية.

بدوي، عبدالرحمن، (١٩٦٢)، شهيدة العشق الإلهي رابعة عدوية، ط٢، مكتبة النهضة المصرية.

بهجت، أحمد ، (٢٠٠٢)، بحار الحب عند الصوفية، دار المعارف، د,ط ، بيروت، لبنان.

الجرداني، الإمام العلامة الشيخ محمد بن عبدالله ، مصباح الضلام، دار الكتب العلمية.

حسين، د.حسن ابراهيم، (١٩٦٨)، ط١، تاريخ الإسلام السياسي، مكتبة النهضة المصرية.

الحفني، عبد المنعم ، (١٩٩١)، رابعة العدوية إمامة العاشقين والمحزونين، دار الرشاد-القاهرة.

الحفني، عبد المنعم ، (١٩٩٧)، الموسوعة الصوفية، دار الرشاد-مصر، ط١.

خضر، سهام ، (٢٠٠٩)، رابعة العدوية بين الأسطورة والحقيقة، دار الكتب العلمية-بيروت.

الداهي، محمد ، (٢٠٠٦)، سيميائية الكلام الروائي، المدارس للنشر، ط١، الدار البيضاء-المغرب.

رشيد، ناضم، (١٩٨٩)، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر-موصل.

الرؤاسي، وكيع بن جراح، (١٩٨٤)، كتاب الزهد، دار الكتاب العلمية-بيروت-لبنان.

سميرة، زركوك، (٢٠١٥)، البنى الأسلوبية في زهديات أبي العتاهية، كلية الآداب والفنون، الجزائر.

الشحود، علي بن نايف، (٢٠٠٣)، كتاب موسعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر.

الشريشي، أبو عباس أحمد بن عبدالمؤمن، (٢٠٠٦)، شرح مقامات الحريري، ط٢، دار الكتب العلمية-بيروت.

الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم ، (١٩٥١)، الملل ولنحل، طبعة الأزهر، ط١.

الشيخ، حمدي، التطور والتجديد ، المكتب الجامعي الحديث.

الصعيد، عبد المتعال ، (١٩٣٩)، كتاب أبو العتاهية، مكتبة الشرق الإسلامية-القاهرة، ط١.

ضيف، شوقي، الفن ومذهبه في الشعر العربي، ط١١، دار المعارف- القاهرة.

الطبري، محمد بن جرير الطبري أبو الجعفر، تاريخ الطبري، بيت الأفكار الدولية.

عبد السجان، محب الدين ، (١٩٨٦)، منهج الإمام الشافعي في تفسير آيات الأحكام، جامعة أم القرى-مكة.

عبدالرحمان بدوي، (١٩٦٨)، شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة، ط٢.

عويضة، محمد نصرالدين محمد، فصل الخطاب الزهد والرقائق والآداب، المكتبة الشاملة الحديثة.

غريب، مأمون ، (٢٠٠٠)، رابعة العدوية في محراب الحب الإلهي، دار غريب.

فاخوري، حنا ، (١٩٨٦)، الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم، دار الجيل – بيروت.

فراج، أنجي ، (٢٠١٩)، مخطوطة المزامير، دار الميدان-مصر.

الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس، ١٩٩٦، ديوان الشافعي، ط٣، دار الكتاب العربي.

فريد، أحمد ، (١٩٩٨)، من أعلام السلف، دار الإيمان-الأسكندرية،ط١.

القيرواني، أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري ، (١٩٥٣)، زهر الآداب، دار احياء، ط١.

كامل، مجدي ، (١٩٩٧)، أحلى قصائد الصوفية، عربية للطباعة والنشر، ط١.

كندي، محمد علي، (٢٠١٠)، لغة القصيدة الصوفية، در الكتب الجديد-بيروت، ط١.

متولى، عبدالستار السيد، (١٩٧٢)، أدب الزهد في العصر العباسي، جامعة أم القرى-مكة المكرمة.

محمد، سراج الدين، (٢٠٠٠)، الزهد والتصوف في الشعر العربي، دار راتب الجامعية-بيروت.

مراد ليمام، (٢٠١٨)، سؤال الهوية في نظام الخطاب العربي، أفريقيا الشرق، دار البيضاء-المغرب.

المرزباني، (١٩٠٠)،معجم الشعراء العرب، دار صادر للطباعة والنشر.

مكي العاني، سامي ، (١٩٦٨)، دراسات في الأدب العربي الإسلامي، مطبعة المعارف-بغداد.

نوسي، عبد المجيد ، (٢٠٠٢)، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطابية-التركيب-الدلالة، المدارس للنشر والتوزيع، ط١، الدار البيضاء-المغرب.

هدارة، مصطفى، (١٩٦٣)، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف.

هشام مغربية، محمد طارق محمد ، (٢٠١١)، المذهب الشافعي،الفاروق-مصر،ط١.

وازيدي، حليمة ، (٢٠١٧)، سيمائيات السرد الروائي، من السرد إلى الأهواء، منشورات القلم المغربي، ط١، دار البيضاء-المغرب.

- **الدوريات**

عبدالمجيد، مقتدر حمدان ، (٢٠١٩)، ورقة بحثية عن محمد إدرريس الشافعي، مؤسس المذهب الشافعي وأبرز الأحداث في حياته، منشورة في Reserch Gate.

فرحان، د. بان حميد ، "شعر الزهد- النشأة والتطور، مجلة كليّة الآداب في جامعة بغداد، العدد ١٠٣.

محمد الداهي، تجليات البعد الانفعالي في رواية الحي الخلفي لمحمد زفزاف www.mohamed-dahi.net، ٢٠١٠\٦\٩، (تاريخ الحصول١٨\٣\٢٠٢٣)